الاستفهام معانيه ومراميه في كلام العرب

Harif Supriady
Universitas Islam Riau, Indonesia
harifsupriady@gmail.com

ملخص

إن دراسة علم المعاني تعطي لنا إطارا شاملا لمعنى كلام العرب ومغزاه، وتبيّن لنا مدى اعتنائهم بالمعنى، الذي هو ميزتهم في الأداء ورقيّهم في الخطاب. فقد كانت دراسة المعنى في كلام العرب تعدّ عنصرا أساسيا في معرفة أحوالهم وطريقة التواصل فيما بينهم. ومن أقوى المعنى في كلامهم هو الاستفهام، وهو يعتبر من أبرز طريقتهم في إبداء المشاعر وكسب قلوب الأكابر. وقد تناول الباحث في هذا البحث خوض القدماء العرب في الاهتمام بأسلوب الاستفهام واعتناء المستشرقين من الغرب في دراسة الأساليب العربية، وإيمان صنف من الباحثين العرب بروح التطور والتقدم وتبعيتهم للغرب و إهمالهم وجهلهم بما آل إليه القدماء من الدقة والضبط في كلام العرب.

الكلمات المفتاحية: الاستفهام، المعاني، المرامي

Abstract

The study of meanings gives us a comprehensive frame work of Arab talk, and show us how much their feel about mean of language, which is their advantage in performance and their highness in speech. It was the study of meaning of Arab Talk is an essential element in knowing their condition and the way of communication between them. The most powerful meaning in their words is *Istifham* (question). It is the essential way for express their feeling and how to get figures interest. The researcher has addressed for attention of Arabic classic in *Istifham*, Orientalist interest in the Arabic mean studies, and Arabian faith in spirit of development and toward, their following for western and their ignorance about creative of arab classical scholars and their capacity.

Keywords: Question, meanings, goals

خلفية البحث

فإن مما تتميز به اللغة العربية هو أساليبها البلاغية الرائعة التى تعتمد على المحاسن اللفظية والمعنوية. فاللغة العربية هي الكلمات التى يعبّر بها العرب عن أغراضهم. وقد وصل إلينا من طريق النقل. وحفظها لنا القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وما رواه الثقات من منثور العرب ومنظومهم[١]. وكانت اللغة العربية متميزة بالمحافظة عليها من أصلها و بانعزالها من العالم حتى سلمت مما أصاب غيرها من التطور والتغيّر تبعا لتغير الأحوال والظروف[٢]. فاللغة العربية أغنى اللغة أساليب وأثبتها لهجة وأعمقها معنى، وبالطبع أن القرآن الكريم مكتوب باللغة العربية، وكان من حكمة تنزيله بها إعجازا للعرب على أن يأتوا بمثله، و عندما كان الله عز وجل يتحداهم به على أن يأتوا بمثله آية أو عشر آيات فعجزوا ، فأصبح القرآن الكريم لما جحدوه وأنكروه ما فيه من دلالة نبوة مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام والإشارات الإلهية الواردة في القرآن. قوله تعالى: { وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ٢٤ }[البقرة: ٢٣- ٢٤]

فكان عجزهم بعد ذلك أشنع وأبشع ، وسجل الله عليهم الهزيمة أبد الدهر ، فلم يفعلوا ولن يفعلوا. ودحضت حجتهم وافتضح أمرهم ، وظهر أمر الله وهم كارهون[٣]. فرأينا أن هؤلاء أصحاب اللغة العربية عجزوا مع أنهم يتحدثون بها ويتلذّون بمعانيها الشامخة، فالقرآن يتميز بأساليب اللغة العربية ، و الجانب اللغوي المتميز في القرآن العظيم أكثر من أن يحصى.

قال صاحب الفوائد ابن القيم رُوي : أن الوليد بن المغيرة سمع من النبي ﷺ : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الأية. فقال: والله إن له حلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمعذّق ، وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر. وجاء الوليد ووفود العرب فى موسم الحج يتحدّثون عن شأن مُحَمَّد فقالوا: ساحر ، فقال : وما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم ، قالوا : فما نقول؟: فقال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر[٤]. إن دور القرآن فى حفظ اللغة العربية من اللحن والتحريف في غاية الأهمية، قال الدكتور مُحَمَّد نذير ذلك أن اللغة عذوبة فى اللفظ ورقّة فى التركيب ودقّة فى الأداء وقوة فى المنطق ووسعت دائرة اللغة باستحداث القرآن الألفاظ الدينية. وتأثيره القوي للغة العربية وآدابا ، هو بقاء حفظ هذه اللغة ما دام القرآن محتفظ من لدن حكيم حفيظ (إن نحن نزلنا الذكر وإن له لحافظون)[٥] ، وحفظ القرآن يستلزم حفظ اللغة[٦].

---

[١] جامع الدروس العربية ، للشيخ مصطفى الغلايين، ص. ٧ وانظر أيضا إلى الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني

[٢] الميسر من تاريخ الآدب العربي المعبر ، للدكتور مُحَمَّد نذير كريم ، ص: ٢٥

[٣] مناهل العرفان في علوم القرآن ، مُحَمَّد عبد العظيم الزرقاني ، ص: ٤٦٠

[٤] الرحيق المختوم ، للشيخ صفي الرحمان المباركفوري ، ص ٧٦.

[٥] القرآن الكريم ، سورة الحجر : ٩

[٦] الميسر من تاريخ الأدب العربي. د. مُحَمَّد نذير كربيم ، ص : ٦٥- ٦٦

القرآن هو كلام الله المنزّل على النبي عليه الصلاة والسلام هدًى وبينات للناس فيما واجهوه من الأحوال والظروف، وبالطبع أن مسيرتهم في الأرض تحتاج إلى المعالم والضوابط كي لا يُوقَعوا في المصائب والهجمات والمعانات في الدنيا والآخرة. والقرآن مصدر أساسي عند الأمة الإسلامية، لأنه دستور إلهي أنزله الله تعالى ذكرا لهم أن ينالوا السعادة في الدارين. بقوله تعالى (ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين: النحل ٨٩). فتبين لنا أن للقرآن دورا كبيرا في الحياة البشرية الإسلامية. ويجب على المجتمع الإسلامي أن يفهموا ويتفقّهوا معانيه ويتمسك حقّ التمسك به.

إن علوية القرآن لا نستطيع أن نراها فى لفظيته العربية فحسب , إنما تحتاج إلى دراسة عميقة من المراجع والمصادر اللغوية المعتبرة. و إن للقرآن تميزا لفظيا و معنويا يفهمه الناس من خلال دراسة متأنّية ومطالعة تفصيلية توصلنا إلى غاية الفهم. وعلوية القرآن أيضا دلالة نبوة رسوله المصطفى ﷺ بحيث أنه يصف نفسه بأنه برهان النبوة ودليلها في عدة مواضع، منها في سورة العنكبوت (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك إذن لارتاب المبطلون) فجعل أمّية النبي مع إتيانه بالقرآن دليلا على النبوة[٧]. وأحد المحاسن المعنوي فيالقرآن الكريم هو الاستفهام. والاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل ، وقد خرج الاستفهام عن معناه المذكور ، يعنى كما عرّفه الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه الفوائد المشوق إلى علوم القرآن أنه استفهام العالم بالشيء مع علمه به[٨], وهذا ما عثر عليه الباحث في القرآن عامة وفي سورة النساء خاصة. كما رأيناه في الأمثال الآتية من الآيات القرآنية :

١. ألم تكن أرض الله واسعة...(النساء: ٩٧)

٢. فهل يهلك إلا القوم الفاسقون..(الأحقاف : ٣٥)[٩]

إذا رأينا فى الأيتين الهاتين سطحيّا, فليس فيهما وجه التصور البلاغي والظواهر اللغوية الرائعة , لأنّها محسوسة من خلال فهم اللغة العربية وأمّامن لا يعرف العربية وعلومها ودقّة معانيها البلاغية فليس له ذلك. والواقع الحالي نرى أن المجتمع الإسلامي أكثرهم لا يتمكّنون بهذه اللغة فيحتاج إلى من يشرح لهم ويُشبع حاجتهم الدينية. فنريد هنا أن نظهر و نطّلع على تميّزها الجليّ ووجه الخطاب الإلهى والأغراض من إلقائها . أما الأية الأولى فالملائكة تقول لهم أن هؤلاء أبَوْا أن يهاجر من دار الكفر إلى دارالإسلام وهم عندئذ مستضعفون ، فالملائكة تعرف جيّدا أن الأرض واسعة ، لكن تريد الملائكة بهذا السبيل الأمثل توبيخا لهؤلاء الذين كانوا يأبون أن يهاجروا إلى التى يقدرون فيها على إقامة دين الله عز وجل[١٠]. والأية الثانية أن الله يعرف الهلك لا يكون إلا للفاسق ، فهو لا يريد الإجابة في هذا الوجه ، بل يريد الله هنا أن يقرّر الهلك للفاسق تقريرا.

---

[٧]نظرية إعجاز القرآن عند عبد الطاهر الجرجاني ، مُحَمَّد حنيف فقيهي ، ص: ١٦

[٨]الفوائد المشوق ، ص: ٢٣٤

[٩] المرجع السابق، ص: ١٢٥

[١٠]صفوة التفاسير ، ج : ١ ، ص: ٢٧٦

أهمية الموضوع:

ولأنّ ضرورة حفظ اللغة من الألحان والأخطاء تقتضى لنا أن نؤصّلها بأساليب القرآن، وإن فيه ضوابط التأصيل والحفاظ على أصالتها حتى لا تكون ضائعة فتنحدر وتنعزل عن حياة المجتمع العربي والإسلامي، فيصير بعد ذلك أمّة بلا هوية ونواة، وهذا من أخطر الواقع الذي يتجسّد في الأمة العربية والإسلامية اليوم. كما رأينا في القرآن عدة الأساليب التى نستطيع من خلالها العثور على بحر معانيها العميقة التي لا تكتفي بدراسة سطحية ومطالعة لامحة وإنما هي تحتاج إلى استطلاع دقيق وفهم أصيل في اللغة العربية وتراثها القديم وجانب آخر الأمر الذي يدفعنى إلى أن أهتمّ بدراسة القرآن من الجانب اللغوي هو صحبتي للقرآن وأنّه هو الذي دفع الباحث إلى أن يهتمّ بالعربية دون غيرها من اللغات.

توطئة:

دراسة اللغة وعلومها تستجلب أقصى الطاقات من الباحث أن يتجرّد من كل ما يُشغله عنها ويجعله شغافا في المخاض فيها، فلو لا هذا لما كان الباحث أن يصل إلى غايته في دراسة اللغة وعلومها. وأسلوب الاستفهام الذي نحن بصدد الكلام عنه الآن من أجلّ الأساليب اللغوية وآدائها الدلالية في القرآن العظيم، ما يكون ذلك إلا لكونه إعجازا للعرب وتحطيم فرياتهم على الوحي المنزّل من عند الله تعالى، وإن للاستفهام منزلة هامة في اللغة وأدائه الدلالي في كلام العرب، وأنه جزء من كنوز لغة العرب الواسعة.

ودراسة الاستفهام في القرآن قلّما نجده على دلالته أو معناه النحوي أو المعجمي ولأن تقديمه في عدة الآيات القرآنية لا يستوجب الإجابة من المخاطب ولأن المتكلم يعرف تماما ما يسأله من سؤال، وإنما يقصد المتكلم من إلقاءه بأغراض أخرى خارجة عن المألوف والعرف المتفق عليه، وسوف يتناولها الباحث من خلال مسير البحث إن شاء الله تعالى.

الأول: تعريف الاستفهام

أما المألوف من تعريف الاستفهام لغة في المعاجم التي يعثر عليها الباحث، كما يقوله صاحب اللسان أن كلمة الاستفهام مشتقّة من (الفهم: معرفتك الشيء بالقلب، واسْتفهمه: سأله أن يُفْهِمَهُ)[١١]. وأما تعريفه في تناول الأعلام فهو كما عرّفهأكثر البلاغيين بأنه طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل[١٢]. وبعض البلاغيين يقول : الاستفهام هو السؤال بغية معرفة شيء مجهول من قبل السائل[١٣]. والسكاكي فى قوله أن الاستفهام طلب حصول فى الذهن , والمطلوب حصوله فى الذهن إما أن يكون حكما بشيء على شيء أو لا يكون , والأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور

[١١]– انظر لسان العرب (مادة: فهم) ١٨٣/٧

[١٢] البلاغة العربية فى ثوبها الجديد . الدكتور بكرى شيخ أمين . دار الثقافة الإسلامية, بيروت , لبنان . ص ٨٤

[١٣] تلخيص فى علم المعانى . د. أحمد شاه , ص ٦٤

الطرفين , والثانى هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق[١٤]. وأكثر علماء البلاغة قالوا بأن الاستفهام من أساليب الإنشاء[١٥]، و أبو هلال[١٦] في فروقه بيّن الفرق بين السؤال والاستفهام حيث أن الاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستفهم أو يشكّ فيه وذلك أن المستفهم طالب لأن يفهم، ويجوز السائل يسأل عما يعلم وعما لا يعلم، وأما السؤال فهي طلب الإخبار بأداته في الإفهام[١٧]. فثمة الاتفاق من كل تعريفات تناولناها سابقا أن الاستفهام هو طلب المعرفة أو العلم بشيء ما لم يكن معروفا لدى السائل بصرف النظر عن قول السكاكي الذي قدّم تعريفا دقيقا له.

الثاني: الاستفهام في دراسة اللغة العربية

دراسة اللغة العربية بأسرها توفّر لنا عدة الفروع التى تتعلق بها وهذه الفروع لا تزال قائمة مادمت اللغة حية تُنطق فى ألسنة أبنائها، ولها تاريخ ممتدّ عبر العصور والدهور ولا يستطيع أحد أن ينفي ذلك رغم إيمانه بروح التطوّر، ويرى الباحث أن التمسك بالتطوّر دون التأصيل في اللغة يعتبر تهديم للغة. وكون الاستفهام كجزء منها له المدار التاريخي إذ القدماء يستعملونه أداة في إبداع المعنى وإثارة السمع وإجذاب الذهن من قبل المتلقى أو المخاطب، قول الشاعر:

أ من أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدرّاج فالمتثلم[١٨]

وقول امرئ القيس:

وهل يعمن إلا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت بأوجال[١٩]

من خلال النموذجين السابقين نجد أن الاستفهام له دور الأداء اللغوي القديم الأصيل الذي استعمله الفصحاء القدماء وسيلة الانتباه والإثارة. ولذلك نريد أن نطرح تناول أهل اللغة قديما من النحويين والبلاغيين وكيف كانوا يتعايشون مع هذا الأسلوب.

١ – الاستفهام في تناول النحويين

تناولُ الاستفهامِ عند النحاة القدماء لا يعدّ شافيا للعثور على دوره في الأداء اللغوي والدلالي حيث أن جلّهم لا يتناولونه إلا عن طريق وظيفته النحوية في كتبهم نحو عمرو بن قنبر المعروف بـ سبويه إذ عقد له بابا سماه (الاستفهام) وتكلم فيه عن أداواته كما تحدث عنه أيضا الفرّاء والمبرّد[٢٠]، وذلك من خلال تناولهم لمادة حروف الاستفهام وأسماء الاستفهام، ولا يوجد فصل متسقلّ يتناول فيه الاستفهام ومعانيه وأدائه اللغوي. عرض الحافظ السيوطي تناوله للاستفهام: اعلم أن حقيقة الاستفهام أنه طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصّل في ذهنه ما لم يكن حاصلا عنده مما سأله

[١٤]– المعجم المفصل فى علوم البلاغة , د. فوّل عكاوي . در الكتب العلمية, بيروت , لبنان . ص ١٢٢

[١٥]– المرجع السابق . ص ١٢٢

[١٦]– هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران المعروف بأبي هلال العسكري، من أئمة اللغة والأدب والشعر، توفي سنة ٤٠٠ هـ

[١٧]– الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ص: ٤٨

[١٨]– ديوان زهير بن أبي سلمى

[١٩]– ديوان امؤئ القيس، ص: ١٠٦

[٢٠]– المعجم المفصّل في علوم البلاغة، د. إنعام فوّال عكاوي، ص: ١٢٢

عنه[٢١]، ويلي ذلك تناول في قضية حروف الاستفهام و طريقة استعمالها عند الكلام نحو: الهمزة و هل [٢٢] وأسماء الاستفهام نحو: من، ومن ذا، وما، وماذا، ومتى، وأيّان، وأين، وكيف، وأنّ، وكم، وأيّ.[٢٣] وهذا بعض النقاط التى اعتنوا بها النحويّون فى الاستفهام، ولم نجد من خلاله القضية التى نريد العثور عليها في الاستفهام من حيث المعنى والدلالة.

٢– الاستفهام عند البلاغيين

البلاغيون هم الذين اعتنوا بمعانى اللفظ والجملة والكلام، حيث جعل المحاسن في اللفظ والمعنى، وذلك من خلال ثُلاثية العلوم البلاغية كالبيان والمعاني والبديع. درس الاستفهام عندهم يعدّ من أبلغ المعنى و أقواه تأثيرًا للمخاطب، وهذه الظاهرة إذا قمنا باستقرائها في النحو فلن نجدها. والاستفهام في دراسة البلاغة يُدرس فى مادة علم المعانى حيث يعتنى هذا العلم بالمحاسن المعنوية، وهذا العلم تدرس فيه المواد المعنوية منها: الخبر والإنشاء والإسناد والمساواة والإيجاز والإطناب[٢٤]، والقصر والوصل والفصل[٢٥]. كل تلك الأبواب التى يدرسها علم المعاني تتحدث عن شأن حسن المعنى ولطف أدائه في الكلام، فمن ضمنها الإنشاء الذي فيه يُدرس الاستفهام باعتباره أقوى تأثيرا وألطف أداءً في الكلام. والاستفهام في علم المعاني كثيرا ما يُستعمل في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسبه المقام[٢٦] ، وهذا ما وجدها الباحث في معايشته مع القرآن الذي يمتلئ فيه هذا الأسلوب وغيره من أساليب الإعجاز ويجعله مثيرا للانتباه ومؤثّرا في السمع موصّلا في الفؤاد.

يعدّ الاستفهام من أبرز الأداء اللغوي في كلام العرب لاسيما القرآن الذي من غرض تنزيله بصرف النظر عن كونه كلام الرحمن أنه أدّى وظيفة الإعجاز للعرب ومفاخرهم إذ كانوا لا يملكون الإنتاج الثقافي إلا ثقافة الشعر واللغة والفصاحة، وهم من أصحاب الحساس الجمالي اللغوي، ونستطيع أن نراه من خلال مقالة الوليد بن المغيرة عن وصفه للقرآن لما أوفده قريش إلى مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام. ونجد البلاغيّين أكثر اعتناء بالاستفهام من النحويين الذين اكتفوا بدراسة وظيفة الحروف والأسماء للاستفهام فحسب.

الثالث: الاستفهام بين تناول علم المعاني و علم الدلالة الحديث

١– الاستفهام في تناول علم المعانى

علم المعانى كما وصفه الخطيب القزويني هو علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التى بها يطابق مقتضى الحال مع وفائه بغرض بلاغي يُفهم ضمنا من السياق، وما يحيط به من القرائن.[٢٧] وقال السكاكي هو علم يبحث عن تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليتحرز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على

[٢١]– الأشباه والنظائر للحافظ السيوطي، ٥٤/٤

[٢٢]– المرجع نفسه، ٥٥/٤–٦٠

[٢٣]– جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني، ص: ٩١

[٢٤]– سرّ الفصاحة لابن سنان الخفاجي، ص: ٨–٩

[٢٥]– الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، ص: ٢٤

[٢٦]– المرجع السابق، ص: ١١٢

[٢٧]– سرّ الفصاحة لابن سنان الخفاجي، ص: ٨

ما تقتضي الحال ذكره.[٢٨] ودرس علم المعاني توصلنا إلى أن كلام العرب ينقسم إلى اثنين هما الخبر والإنشاء، فأما الخبر فهو كلام يحتمل فيه الكذب والصدق نحو: (جاء محمدٌ من العراق)، وأما الإنشاء فهو كلام لا يحتمل الصدق والكذب نحو: (اِذْهَبْ إِلَى ٱلْمَسْجِدَ)، ويمكن تحويل الجملة الخبرية إلى جملة إنشائية بإضافة صيغة من صيغ الإنشاء وهي: الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، النداء، مع بعض التغيير في الجملة بما يقتضيهسلامة التعبير، نحو: نجح الطالب (جملة فعلية خبرية)، تحوّلت إلى جملة إنشائية كالتالي: هل نجح الطالب؟ (استفهام).[٢٩] فالاستفهام من ضمن دراسة المعانى التى الباحث بصدد الكلام عنها الآن، وما أكثرها انتشارا في التراث العربي القديم ولها دورٌ جليّ في الأداء اللغوي حينئذ. وللاستفهام عدة معانى سنُبيّنها في المبحث التالي إن شاء الله.

٢- الاستفهام في تناول علم الدلالة الحديث

قبل أن نتحدث عن دراسة الدلالات اللغوية عند المتأخرين التى معظمها من تناول الأوربيين، وزعموا أنهم من اخترع هذا العلم الذي يسمّونه بعلم الدلالة أو دراسة المعنى(Semantic)، من الجدير أن يطرح الباحث أولا تناول قدماء العرب في مجال المعنى حتى لا تختلّ فكرتنا العربية وهويّتنا التى انبنتْ وامتدّتْ من العصر الجاهلي إلى يومنا هذا، وهي أوفر وأرقى مما نظنّ، و للأسف الشديد عدم الإنصاف عند أبناء هذه اللغة الذين درسوا في الغرب وأصبحوا لهم تُبّعا دون استأصال الفكرة وتنقيتها وتركوا مجدهم وهويتهم وجعل كل أشياء اخترعها الغرب هي التي يؤمنون بها ويقومون بحملها. إذ أن العربية لها تاريخها تمتدّ عبر العصور والقرون ولا يخفى علينا ذلك، وأما الذي يحاول نفيه وإنكاره فهو في حالة الوهم والتكلّف.

أ- اعتناء العرب بالمعنى

كما أشرنا في سابق الكلام أن للعرب تاريخا في ثقافتهم، وأن ليس لهم من الإنتاج الثقافي إلا الشعر، ويستمرّ ذلك إلى العصر الإسلامي، وكان المسلمون الأوائل قد أوجد فكرة المعنى ويُحسّها ويعرفها بدقّة كبيرة قبل أن يصل إليهم أي فكر عن أرسطو أو غيره عن طريق النقل والترجمة.[٣٠]ولذلك تدحض فكرة اجتلاب تعريف قدمائنا للمعنى من عند أرسطو أو غيره.[٣١] وقد أضاف عبد القاهر الجرجاني في إفادتنا لدراسة المعنى أو الدلالة، حيث قال في عبارته: وإذ قد عرفتَ هذه الجملة، فههنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: (المعنى)، و (معنى المعنى)، تعنى بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذى تصل إليه بغير واسطة = و(بمعنى المعنى) أن تعقل من اللفظ معنىً، ثم يفضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر، كالذى فسّرتُ لك.[٣٢] فالجملة الأخيرة التى أصدرها الجرجاني توضّح لنا أن العرب منذ القرون القديمة قد اعتنوا بالمعنى،

---

[٢٨]- الإيضاح في علوم البلاغة، ص: ٢٣

[٢٩]- انظر سرّ الفصاحة، ص: ٩

[٣٠]- انظر المعنى اللغوي لمحمد حسن حسن جبل، ص: ١٥٠

[٣١]- انظر المرجع نفسه ، ص: ١٤٨

[٣٢]- دلائل الإعجاز لأبي بكر بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد الجرجاني النحوي، ص: ٢٦٣

ولا داعي لنا أن نتعصّب ونفتخر بما في الغرب من الاختراعات في دراسة اللغة وبيد أنّنا لا ننفى ذلك أنهم قد أسهموا في تطوّر اللغة، والإيمان بالتطوّر ضرورة ولكن ترك الأصل الشامخ من أجل ذلك شيء غريب.

ب- تناول المتأخرين في دراسة المعنى

بعد أن أصدرنا كلاما موجزا عن خوض قدماء العرب في دراسة المعنى من الجدير بنا أن نذكر إسهام المتأخرين من الأوربيين في دراسة اللغة كما أشرنا سابقا أننا لا ننكر إسهامهم في ذلك. أن بعضَ أهمِ نظرية دراسة المعنى (Semantic) عند الغرب تتمثل في نظرية دي سوسير التى انبنتْ على المدرسة الاجتماعية لدوركيم (Dorkheim) ونظرية المدرسة السلوكية بلو مفيلد و نظرية المدرسة الاجتماعية الانجليزية عند فيرث.[٣٣] ودراسة المعنى عند هؤلاء اللغويين الغربيين تعتبر سطحية لم تفق قيمة الدقة والتفصيل عند قدماء العرب، وأنهم أسهموا كبرى الإنتاجات اللغوية التى لم يصل إليها الغرب في مثلها، إذا رأينا فكرة معنى المعنى عند أوجدن وريتشاردز التى اهتمّت بدراسة المعنى وتقديم معرفة الإبستيمولوجيا فإن عبد القاهر الجرجاني قد سبقه في تناوله لمعنى المعنى في كتابه دلائل الإعجاز. ولذلك بصرف النظر عن تقدُّم الغرب في دراسة اللغة وتطوّرها فإن للعرب كنوزا لم يفق إليها الغرب في دراسة مشكلة المعنى، وقال الأستاذ مُحَمَّد حسن حسن جبل معبّرا عن خوضهم لدراسة المعنى يعتبر شطحة فكرية أو خواطر غير ناضجة اهتمّ بها الأوربيون ترفا أو رصدا لأنشطتهم، واهتمّ بها لغويونا تبعا.[٣٤]

تناول المتأخرين في دراسة الدلالة للاستفهام نستطيع العثور عليها في تحليل نظرية الدلالة السياقية أو الموقعية، حيث أنهم قد رتّب تحليل الدلالات اللغوية كما يلي:

- الدلالة الأساسية أو المعجمية
- الدلالة الصرفية
- الدلالة النحوية
- الدلالة السياقية أو الموقعية[٣٥]

فنحن نستطيع أن ندرس دلالة الاستفهام عن طريق الدلالة السياقية، لأن المعانى التى نريدها هي دلالة الاستفهام في الجملة العربية، ولأن دراستنا في القرآن لا تكشف بالدلالة المعجمية والصرفية والنحوية، وإنما تُحلّل دلالة الاستفهام الموجودة في سورة النساء بالدلالة السياقية. وأضاف الدكتور عبد الوهاب حسن حمد ما سمّاه بـ (البدائل الدلالية)، وقال في أحد مقالاته أن يُعرف الاستفهام بالسياق الذي يدلّ على أنه تحوّل إلى دلالة النفي، في قوله تعالى (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة....: البقرة ١٣٨).[٣٦]

---

[٣٣]- انظر علم اللغة، د. محمود السعران، ص: ٢٤٤-٢٥١

[٣٤]- المعنى اللغوي، د. مُحَمَّد حسن حسن جبل، ص: ١٦٢

[٣٥]- علم الدلالة العربي، د. فايز الداية، ص: ٢٢

[٣٦]- انظر مقالة لـ د. عبد الوهاب حسن حمد، في (www.minshawi.com)

ودراسة أسلوب الاستفهام ودلالته عند المتأخرين من الغرب لم تعدّ كافيا شافيا أو نستطيع أن نقول ليس لديهم وصف دقيق للاستفهام ومعانيه كما يتناوله قدماءنا الأعلام ولهم قيمة كبيرة و تفاصيل دقيقة له، ولذلك لا يتمّ ذلك إلا من خلال العثور على تراثنا اللغوي الأصيل الذي يبيّن لنا وظائف الاستفهام اللغوية وصفا دقيقا وفصلا مستقلّا.

الرابع: تغيرّ دلالة الاستفهام.

كما قد أشرنا سابقا أن تناول المتأخرين في دراسة الدلالة اللغوية في تحليل الاستفهام عن طريق السياق، ونُقرّ أن ليس لديهم وصف دقيق وفصل مستقلّ في تحليل دلالة الاستفهام،ففكرة تغيّر الدلالة أو تحوّل المعنى عند علماءنا القدماء أو معنى المعنى الذي أشار إليه الشيخ عبد القاهر الجرجانى في كتابه دلائل الإعجازأنه قال (أن تعقل من اللفظ معنىً، ثمّ يفضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر[٣٧]. والإمام ابن قيّم الجوزية في فوائده أشار بخروج الاستفهام عن معناه الحقيقي حيث قال: الاستفهام هو استفهام العالم بالشيء مع علمه به[٣٨] , ويقصد بهذا التعريف غير الفهم الذى هو الاستفهام عن الشيء. فاتضح أن قدماء العرب لهم وصف دقيق للاستفهام وعقده بابا خاصّا في تناولهم له. ويمكن تصنيف تلك الدلالات الموجودة في القرآن حيث عدّها الإمام السيوطي في الإتقان نحو الثانى والثلاثين معنىً[٣٩]، وسنذكرها كما يلي:

١. الإنكاري

المتكلم فى هذا الوجه يعرف فيما حدث ، إنما يلقي السؤال إلى المخاطب من أجل إظهار إنكاره على ما فعله المخاطب. قال الإمام ابن القيم الجوزية " واعلم أن الاستفهام بمعنى الإنكار حاصله راجع إلى تثبيت السامع على فساد ذلك الشيء حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدّ عنه[٤٠]، حيث يقول المولى عزوجل:

{فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ }[الأحقاف: ٣٥]

٢. التعجيب

إنما أراد المتكلم هنا لا يريد الإجابة ولا الاستجابة من المخاطب ، بل المتكلم يريد أن يظهر تعجّبه على فعل المخاطب. حيث يقول الله جلّ جلاله: { كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ [البقرة: ٢٤٥]

٣. الأمر

وقد يخرج معنى الاستفهام الحقيقي إلى الأمر، لأن المتكلم يعرف عن أحوال المخاطب ولا يريد الإجابة منه، بل يريد المتكلم هنا أن يأمر المخاطب على أن يفعل شيئا ينفع له. قال تعالى: { فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ }[المائدة: ٩١] ، أي انتهوا.

٤. التقرير

---

[٣٧] – انظر دلائل الإعجاز، ص: ٢٦٣

[٣٨] الفوائد المشوق إلى علوم القرآن , للعلامة ابن قيم الجوزية , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان . ص ٢٣٤

[٣٩] – الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي، ٣/٢٠٠-٢٠٤

[٤٠] الفوئد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، للإمام ابن القيم الجوزية ، ص: ٢٣٥

وفى هذا الوجه أراد المتكلم أن يقرر للمخاطب عن أحوال الشيء أو كما عرّفه الإمام ابن القيم الجوزية استفهام التقرير : حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرّ عنده[٤١]. قال المولى عزّ وجلّ: { أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ }[الشرح: ١]

٥. التوبيخ

التوبيخ هو العذلة المحرقة ، ووبّخه : لامه وعيّره. وقال السيوطي: إن استفهام التوبيخ جعله بعضهم من قبيل الإنكار ، إلا أن الأول إنكار إبطال وهذا إنكار توبيخ[٤٢]. قوله تعالى: { أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥ }[الصافات: ١٢٥]

٦. التحذير

استفهام التحذير هو إنذار كما أشار إليه الزركشي في البرهان[٤٣] والتهديد والوعيد كما قال فيه السيوطي[٤٤] ، إنما المتكلم أراد أن ينذر المخاطب عن أحوال الشيء. قوله تعالى:{ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦ }[المرسلات: ١٦]

٧. التمنى

التمنى هو توقُّع أمر محبوب فى المستقبل، والفرق بينه وبين الترجي أنه يدخل فى المستحيلات ،والترجي لا يكون إلا فى الممكنات[٤٥]. وفى هذا الوجه الاستفهامي المتكلم لايريد الإجابة من أي أحد قط ، إنما يريد أن يلقي السؤال على سبيل التمنى. قوله تعالى: { فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ }[الأعراف: ٥٤]

٨. الدعاء

قال السيوطي : إن استفهام الدعاء هوكالنهي إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى[٤٦]، فالمتكلم يريد أن يلقي استفهاما فى هذا الوجه الإجابة من المخاطب ، حيث أن المتكلم يعرف بأن المخاطب يعرف أحواله بالضبط، إذن فيلقي المتكلم السؤال هنا على سبيل الدعاء لكونه أسفل المخاطب. قوله تعالى: {أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّا}[الأعراف: ١٥٥]

٩. النفي

النفي لغة : من فعل نَفىَ يَنْفِي نَفْياً عنه: تَنَحَّى، تحدث الزمخشري فى كشافه عن استفهام النفي ، وقد مثّل له بقوله تعالى: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) فمعنى الآية الكريمة : إن المؤمن المطيع لربه تعالى سيجزيه الجزاء الحسن

---

[٤١] المعجم المفصل فى علوم البلاغة ، د. إنعام فوّل عكاوي ، ص: ١٣٢

[٤٢] المرجع السابق ، ص : ١٣٤

[٤٣] المرجع السابق ، ص :١٢٧

[٤٤] – انظر الإتقان للسيوطي، ٢٠٣/٣

[٤٥] المعجم المفصّل ، ص : ٤٢٨

[٤٦] المرجع السابق ، ص: ١٣٥

بالإنعام عليه بفضله ورحمته.[٤٧] قوله تعالى: { أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ }[التوبة: ١٣]

١٠. العتاب

العتاب لغة: لومك الرجلَ على إساءة كانت له إليك، فيسمّى العِتبُ: الرجل الذي يعاتب صاحبَهُ في كلّ شيء، إشفاقا عليه ونصيحة له[٤٨]، وأشار الإمام السيوطي إلى قول الله تعالى: { ۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ }[الحديد: ١٦]

١١. التذكير

قال بعض علماء البلاغة: إن استفهام التذكير يتضمّن معنى الاختصار على سبيل التذكير كما ذكر السيوطي في الإتقان[٤٩] حيث قال عزّ وجلّ: { ۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ }[يس: ٦]

١٢. الافتخار

ذكر السيوطي في الإتقان أن ملك مصر استفهم قومه على سبيل الافتخار والاستعلاء، حيث قال الله تعالى: { وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ }[الزخرف:٥١]

١٣. التفخيم

أشار الإمام السيوطي في الإتقان إلى استفهام التفخيم متمثلا في قوله تعالى: {مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ }[الكهف: ٤٩]

١٤. التهويل والتخويف

استعمل الله هذا الاستفهام من أجل ترهيب وتهويل، والتهويل لغةً: هوَّل يُهوّلُ أي أفزعه[٥٠]، وأخذ الإمام السيوطي في إتقانه مثل هذا الاستفهام في قوله تعالى: { ٱلۡحَآقَّةُ ١مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢ } [القارعة: ١-٢]، أفزع الله الناس عن شأن يوم القيامة على سبيل استفهام التهويل.

١٥. التسهيل والتخفيف

أما الاستفهام السابق يتضمّن التهويل والتخويف فهذا الاستفهام عكسه، إنه جاء على سبيل التسهيل والتخفيف، قوله تعالى: {وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ }[النساء: ٣٩]، بغضّ النظر عن التسهيل والتخويف هذا الاستفهام في هذه الأية أيضا يتضمّن فيها الإنكار من عدم إيمانهم بالله واليوم الآخر، مع ظهور المعجزات على أيدى رسله المخلصين[٥١]

---

[٤٧] المرجع السابق ، ص : ١٣٦

[٤٨] – انظر لسان العرب، ٦/٦٧-٦٨

[٤٩] – النعجم المفصّل فى علوم البلاغة، ص: ١٢٨

[٥٠] – المعجم المفصّل، ص: ١٣٤

[٥١] – المرجع نفسه، ص: ١٢٩

١٦. التكثير

كما أن ما يُفهم من لفظه هذا الاستفهام يشير معنى العدد، وقد أخذ الإمام السيوطي مثالا لهذا الاستفهام في قوله تعالى: {وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤ }[الأعراف: ٤]، أي كم من قرية أهلها كفروا أهلكناها بكفرهم فهي خاوية ساقطة على سبيل التكثير[٥٢]

١٧. التسوية

قال السيوطي بأنه الاستفهام الداخل على جملة يصحّ حلول المصدر محلها[٥٣]، نحو قوله تعالى: { وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠ }[البقرة: ٦] بمعنى أن الذين كفروا كأبي جهل وأبي لهب وأمثالهما، سواء عليهم أ توعدتهم أم لم توعدهم لا يؤمنون لعلم الله تعالى منهم ذلك فلا تطمع في إيمانهم.[٥٤]

١٨. التنبيه

التنبيه لغةً: من كلمة النُّبهُ معناها الفِطنة وأنبهتهُ ونبّهتُه فتنبّه وانتبه. وهذا مَنبهة على كذا: أي مُشعرٌ بهِ ولفلان: مُشعر بقَدره ومُعلٍ له.[٥٥] قوله تعالى: { أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلًا ٤٥ }[الفرقان: ٤٥]، أي انظر[٥٦] وانتبه إليه وهذا الاستفهام مضمون فيه الأمر.

١٩. الترغيب

كما يتجلّى في لفظه إن هذا الاستفهام اختُرع على سبيل الترغيب ليفعل المخاطب شيئا يريده السائل، وقد أخذ الإمام السيوطي مثالا في قوله تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ }[الصفّ: ١٠] وقوله تعالى: { مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ }[البقرة :٢٤٥].[٥٧]

٢٠. الاسترشاد

الاسترشاد لغةً: كما هو معلوم من كلمة الرُشد، أي طلب الرُشد أي اِهتدى[٥٨]، بيّن الإمام السيوطي استفهام الاسترشاد ممثّلا في قوله تعالى: { قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ }[البقرة: ٣٠]

٢١. الاستبطاء

أشار الإمام السيوطي في الإتقان إلى استفهام الاستبطاء ممثّلا في قوله تعالى: {حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤}[البقرة: ٢١٤] عند استبطاء النصر لتناهى الشدّة عليهم.[٥٩]

---

[٥٢] – المعجم المفصّ، ص: ١٣٣

[٥٣] – انظر الإتقان، ص: ٢٠٢

[٥٤] – انظر المعجم المفصّل، ص: ١٢٩

[٥٥] – القاموس المحيط، للعلامة الفيروزآبادي، ٣٣٣/٤

[٥٦] – انظر الإتقان، ٢٠٣/٣

[٥٧] – انظر المرجع السابق، ٢٠٣/٣

[٥٨] – انظر القاموس، ٣٥٨/١

٢٢. العرض

العرضُ لغةً: من عَرَضَ يَعرِضُ أي ظهر عليه وبدا[٦٠]، قال السيوطي: إن استفهام العرض هو الطلب برِفقٍ، وقد مثّل له بقوله تعالى: {أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢}[النور : ٢٢]، هذه الأية نزلت في شأن أبي بكر الصديق الذي حلف على أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر لمّا خاض في حديث الإفك بعد أن كان ينفق عليه. بعد نزول هذه رجع أبو بكر إلى ما كان ينفق على مسطح.[٦١]

٢٣. التحضيض

استفهام التحضيض هو الحثّ والطلب برفق، وقد مثّل له الإمام السيوطي بقوله تعالى: { أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ }[التوبة: ١٣] جاءت الآية على سبيل التشجيع والتحضيض لأنهم نقضوا مواثيقهم من بعد وعدهم وطعنوا في دينهم[٦٢]

٢٤. التجاهل

ذكر السيوطي معنى التجاهل ممثّلا بقوله تعالى: { أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ }[ص: ٨]، أشارت هذه الأية أن استفهام الكفار لشأن رسول الله عليه الصلاة والسلام لما أُنزل عليه الوحي على سبيل التجاهل وعناد منهم ويظنّ أنه ﷺ ليس بأكبرهم ولا بأشرفهم[٦٣]

٢٥. التعظيم

كما في قوله تعالى: {مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ }[البقرة: ٢٥٥] هذه الأية تشير إلى أن الله تعالى وجّه هذا الاستفهام على سبيل التعظيم لنفسه ولشرفه ولقدرته، أن لا أحد يشفع له يوم القيامة إلا بإذنه[٦٤].

٢٦. التحقير

هذا الاستفهام يتمثّل في قوله تعالى: { أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦ }[الأنبياء: ٣٦] أيّ إذا رآه الكفار قالوا تحقيرا له وهزءا منه: أهذا الذي يذكر آلهتكم ويعيبها؟.[٦٥]

٢٧. الاكتفاء

قد مثّل الإمام السيوطي لهذا الاستفهام بقوله تعالى: { أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٦٨}[الزمر: ٦٠]، والمبيّن أنهم استفهموا مأوى الكفار الذين استكبروا عن الإيمان بالله الواحد، ناسبين الشريك والولد لله الواحد القهّار.[٦٦]

---

[٥٩] – انظر المعجم المفصّل، ص: ١٢٤

[٦٠] – انظر القاموس، ٣٨١/٢

[٦١] – انظر المعجم ، ص: ١٣٦

[٦٢] – المرجع السابق، ص: ١٢٧

[٦٣] – المرجع السابق، ص: ١٢٧

[٦٤] – انظر المرجع السابق، ص: ١٣١، وانظر الإتقان، ٢٠٤/٣

[٦٥] – انظر المعجم، ص: ١٢٨، والأتقان، ٢٠٤/٣

٢٨. الاستبعاد

هذا الاستفهام يتمثّل كما في الأية: { أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣ }[الدخان: ١٣]، أن الأية تشير إلى أن الإيمان عند نزول العذاب لا ينفعهم وقد جاءهم رسولٌ بيّن الرسالة.[٦٧]

٢٩. الإيناس

يتمثّل هذا الاستفهام في قوله تعالى: { وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ }[طه: ١٧] الأية مشيرة إلى أن الاستفهام على معنى التقرير الحقيقي في حال تغيّرها عن حقيقتها، فيعرف ما في يده حتى لا ينفر إذا أقبلت حية وليرتّب عليه المعجزة فيها.[٦٨]

٣٠. التهكّم

التهكّم لغةً: هو الاستهزاء[٦٩] وهو الذي أشار إليه الإمام السيوطي أنه استفهام الاستهزاء، وقد مثّل له بقوله تعالى: { قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ }[هود: ٨٧] أيّ أن قوم شعيب قالوا له أ صلاتك كلّفت بها تأمرك بترك ما يعبد آبائنا؟ استفهموا على سبيل التهكّم والاستهزاء.[٧٠]

٣١. التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله

يتمثّل هذا الاستفهام كما أشارإليه السيوطي في قوله تعالى: { أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩ }[الزمر: ١٩] قال الموفّق عبد اللطيف البغدادي: أيّ من حقّ عليه كلمة العذاب فإنك لا تنقذه، فمن للشرط والفاء جواب الشرط والهمزة في : (أفأنت) دخلت معادة مؤكدة لطول الكلام، وهذا نوع من أنواعها.[٧١] وقال الزمخشري الهمزة الثانية في هذه الأية هي الأولى كُرّرت لتوكيد معنى الإنكار الاستبعاد.[٧٢]

٣٢. الإخبار

استفهام الإخبار تسمية أبي عبيدة في معرض حديثه عن الاستفهام في كتابه مجاز القرآن ممثّلا لهذا الفنّ بقوله تعالى: { إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ }[يس: ١٠][٧٣]، وكذلك جاء قول السيوطي ممثّلا لهذا الاستفهام الإخباري بقوله تعالى: { هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ }[الإنسان: ١][٧٤]

---

[٦٦] – المعجم، ص: ١٢٥

[٦٧] – المعجم، ص: ١٢٤

[٦٨] – المعجم المفصّل، ص: ١٢٦

[٦٩] – انظر القاموس المحيط، ٢١٦/٤

[٧٠] – انظر المعجم، ص:١٣٤

[٧١] – الإتقان،ص: ٢٠٤/٣

[٧٢] – انظر الكشاف، ١١٨/٤

[٧٣] – المعجم المفصّل ، ص: ١٢٣

[٧٤] – الإتقان، ٢٠٤/٣

المصادر والمراجع

ابن قيم الجوزية (١٩٨٨). **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن**. دار الكتب العلمية: بيروت

ابن منظور (٢٠٠٣). **لسان العرب**. دار الحديث: القاهرة

أحمد شاه (٢٠٠٧). **تلخيص فى علم المعانى**. باكنبارو ـ أندونيسيا

إمرئ القيس بن حجر الكندي (٢٠٠٤). **الديوان**. دار ومكتبة الهلال: بيروت

إنعام فوّال عكاوي (٢٠٠٦).**المعجم المفصل فى علوم البلاغة**. دار الكتب العلمية: بيروت

بكرى شيخ أمين (١٩٧٩). **البلاغة العربية في ثوبها الجديد**. دار الثقافة الإسلامية: بيروت

الثعالبي (٢٠١٠). **فقه اللغة وأسرار العربية**. تحقيق مجدي فتحي السيد. دار التوفيقية للتراث: القاهرة

الجرجاني (١٩٩٢). **دلائل الإعجاز**. مطبعة المدني: القاهرة

الخطيب القزويني (٢٠٠٣). **الإيضاح في علوم البلاغة**. دار الكتب العلمية: بيروت

الخفاجي (٢٠١٠). **سرّ الفصاحة**. تقديم إبراهيم شمس الدين. كتاب ـ ناشرون: بيروت

السيوطي (٢٠٠٦). **الإتقان في علوم القرآن**. تحقيق حامد أحمد الطاهر البسيوني. دار الفجر:القاهرة

السيوطي (٢٠٠٧). **الأشباه والنظائر في النحو**. دار الكتب العلمية:بيروت

السيوطي (٢٠١٠). **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**. دار الحديث: القاهرة

الشيخ مُحَمَّد علي الصابوني (٢٠٠١). **صفوة التفاسير تفسير القرآن الكريم**. دار الفكر: بيروت

صفي الرحمان المباركفوري (١٩٧٦). **الرحيق المختوم بحث فى السيرة النبوية**. دار إحياء التراث: بيروت

العسكري (٢٠١٠). **الفروق اللغوية**. دار الكتب العلمية: بيروت

علي حسن فاعور (١٩٨٨). **ديوان زهير بن أبي سلمى**. دار الكتب العلمية: بيروت

فايز الداية (١٩٩٦). **علم الدلالة العربي**. دار الفكر المعاصر: بيروت

الفيروزآبادي (د.س). **القاموس المحيط**. المكتبة التوفيقية: القاهرة

مُحَمَّد حسن حسن جبل (٢٠٠٩). **المعنى اللغوي**. مكتبة الآداب: القاهرة

مُحَمَّد عبد العظيم الزرقانى (٢٠٠٤). **مناهل العرفان فى علوم القرآن**. در الكتب العلمية: بيروت

مُحَمَّد نذير كريم (٢٠٠٤). **الميسر من تاريخ الأدب العربي المعبر**. سوسقا بريس. باكنبارو ـ أندونيسيا

محمود السعراني (١٩٩٧). **علم اللغة**. دار الفكر العربي: القاهرة

مصطفى الغلايين (٢٠٠٧). **جامع الدروس العربية**. دار الفكر: بيروت